شرح قصيدة على قدر أهل العزم تأتي العزائم

سندرج شرح قصيدة على قدر أهل العزم تأتي العزائم فيما يأتي:

- **عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ**
  وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ

لقد ابتدأ الشاعر المتنبي قصيدته في الكلام بحكمة شعرية وأدبية أنّ الإنسان إن بلغ من العظمة شيئًا كثيرًا فإنّ الامتحانات والمهمات تأتي على قدر تلك العزيمة، وقد ابتدأ قصيدته تلك في الكلام مع سيف الدولة الحمداني وهذا بمثابة المديح العظيم الذي يوجه لواحد من أهل الدولة والحل والعقد.

- **وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها**
  وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ

الآن ينتقل المتنبي في حديثه للكلام عن حكمة أخرى، أنّ الإنسان الذوي وهبه الله تعالى قوة ومنعة وعظمة فإنّه يرى البلايا العظيمة والرزايا الكبيرة صغيرة ولا يراها كبيرة أبدًا، أما الصغير في قدره الوضيع في عزمه يرى الأمر الصغير شيئًا كبيرًا.

- **يُكَلِّفُ سَيفُ الدَولَةِ الجَيشَ هَمَّهُ**
  وَقَد عَجَزَت عَنهُ الجُيوشُ الخَضارِمُ

هنا ينتقل المتنبي للكلام عن جيش المتنبي وكأنه يمدحه مرة أخرى بواسطة جيشه الذي يقدر على الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها البشر وذلك بسبب همته العظيمة التي وهبها الله تعالى له وهذا من أعظم وجوه المدح التي قيلت في الشعر العربي وكأنه يمدح الخاص بالعام.

- **وَيَطلِبُ عِندَ الناسِ ما عِندَ نَفسِهِ**
  وَذَلِكَ مالا تَدَّعيهِ الضَراغِمُ

الآن يعقد المتنبي بمثابة المقارنة ما بين الأسد وسيف الدولة الحمداني، فسيف الدولة يطلب أن يكون عند جيشه ما عنده من الشجاعة والبسالة وقوة البأس والمنعة وهذا الأمر جديد على القادة حتى إنّ الأسود المعروفة بشجاعتها وقيادتها لا تطلب من جيوشها أن تتمتع بما لديها من القوة والبأس.

- **يُقَدّي أَتَمُّ الطَيرِ عُمراً سِلاحُهُ**
  نُسورُ المَلا أَحداثُها وَالقَشاعِمُ

الآن يأتي المتنبي بصورة شعرية أخرى ويختار حيوانًا آخر معروفًا بمعته وقوته وكرامته وهو النسر، أي وكأن النسر يقول لسيف الدولة الحمداني وجيش نفديك أنفسنا وذلك بمثابة التمثيل على قوة جيش سيف الدولة حتى إنّ النسور تجعل نفسها فداءً له.

- **وَما ضَرَّها خَلقٌ بِغَيرِ مَخالِبٍ**
  وَقَد خُلِقَت أَسيافُهُ وَالقَوائِمُ

يتم المتنبي الصورة الشعرية التي ابتدأها في البيت السابق فيقول لو أنّ تلك النسور خُلقت من دون مخالب فإنّه لا يضرها ذلك بشيء وذلك لأن سيوف جيش سيف الدولة الحمداني ستأخذ المهمة عنها تلك التي تتمثل بالصيد والقتل، بمعنى أنّه من كثرة تقتيلهم بجيش الأعداء يتركون جثثهم فرائس للنسور التي لم تعد تحتاج مخالبها للصيد.

- **هَل الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها**
  وَتَعلَمُ أَيُّ الساقِيَينِ الغَمائِمُ

يُعرج سيف الدولة الحمداني الآن في كلامه عن القلعة التي بناها سيف الدولة ثم أقبل الرومان من أجل التحصن فيها فكانت المعركة الكبرى مع جيش سيف الدولة الحمداني الذي خلف تقتيلًا كثيرًا في الرومان حتى إنّ جدران القلعة قد لطخت باللون الأحمر من جراء الدماء، فباتت القلعة لا تعلم هل السحائب تسقيها الماء أم تلك دماء عظيمة سقيت بها.

- **سَقَتها الغَمامُ الغُرُّ قَبلَ نُزولِهِ**
  فَلَمّا دَنا مِنها سَقَتها الجَماجِمُ

الآن يتم المتنبي الصورة السابقة في كلامه ويتحدث عن قلعة الحدث أنّه في بادئ الأمر سقى الغمام القلعة مطرًا عظيمًا ثم لما جاء سيف الدولة وجيشه سقاها من الدماء والجماجم وهذا يدل على عظم الدعاء التي سقيت القلعة بها حتى التبس عليها الأمر هل هي تُسقى من غمام السماء أم من سيوف جيش سيف الدولة.

- **بَناها فَأَعلى وَالقَنا تَقرَعُ القَنا**
  وَمَوجُ المَنايا حَولَها مُتَلاطِمُ

يعود المتنبي للتأكيد على الفكرة الأولى وهي بناء سيف الدولة لتلك القلعة ويصف حال المعركة حولها والرماح تُقارع بعضها بعضًا ويُشبه ما يحدث بأن الموت مثل قراع المنايا بعضها مع بعض وكأن الموت هو بمثابة البحر الذي يأخذ كل شيء معه.

- **وَكانَ بِها مِثلُ الجُنونِ فَأَصبَحَت**
  وَمِن جُثَثِ القَتلى عَلَيها تَمائِمُ

الآن يتحدث الشاعر عن صورة شعرية أخرى وهي صورة ما بعد الانتصار في المعركة حيث استطاع الانتصار بجيشه على جيش الروم وتقتيل أولئك الجنو وسفك دمائهم سفكًا عظيمًا، حتى لما انتهى الأمر وبقيوا جثثًا هامدة علق جثثهم على الجدران كما تثعلق التمائم على جدران القلعة، وهذا يدل على أهمية الصورة في شعر المتنبي وقدرته على توظيفها توظيفًا بالغًا.

- **طَريدَةُ دَهرٍ ساقَها فَرَدَدتَها**
  عَلى الدينِ بِالخَطِّيِّ وَالدَهرُ راغِمُ

إنّ هذه القلعة التي يتحدث عنها المتنبي هي بمثابة الطريدة التي سثلط عليها الروم قبلًا فصارت مثل الفريسة التي يلاحقونها وراء بعضهم البعض، وهذا يدل على الصورة التشبيهية الرائعة التي استخدمها المتنبي، ولكن كان خيار سيف الدولة الحمداني أن يردهم عن تلك القلعة بحد السيف ويُبعدهم عنها.

- **تُفيتُ اللَيالي كُلَّ شَيءٍ أَخَذتَهُ**
  وَهُنَّ لِما يَأخُذنَ مِنكَ غَوارِمُ

الآن يكمل المتنبي الصورة السابقة التي تحدث عنها وهي صورة الأخذ والعطاء في الحياة الدنيا، فيقول لو أخذت منك الحياة الدنيا شيئًا عزيزًا عليك واستعدته منها مرة أخرى فإنّها بعد ذلك لا تقدر أن تأخذه منك مرة أخرى أبدًا وهذا يدل على أن الإنسان لا يجب أن يركن إلى الهدوء والدعة على الإطلاق بل لا بدّ من أن يتوقف مع نفسه وقفة البطل الفارس المتمرد.

- **إِذا كانَ ما تَنويهِ فِعلاً مُضارِعاً**
  مَضى قَبلَ أَن تُلقى عَلَيهِ الجَوازِمُ

الآن يقول المتنبي انّ الإنسان لو همّ بفعل أمر ما أو فعل شيء ما فيجب الا يوقفه اي شيء على الإطلاق ولا يحاول أن ينتظر حتى يملي عليه الآخرون ما يجب أن يفعلوه وما يجب أن يأتي به من التصرفات، وهذا إن دل فإنما يدل على الصرامة التي يتمتع بها المتنبي ويصف بها سيف الدولة الحمداني.